لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤ \ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى:
﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٣و١٦٤،

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

Verily! In the creation of the heavens and the earth, and in the alternation of night and day, and in the ships that sail the sea with that which profits mankind, and in the water which ALLAH sends down from the sky and makes the earth alive therewith after its death, the moving (living) **creatures of all kinds that He has scattered therein, and in the direction of the winds and the clouds which are held between the sky and the earth, are indeed Signs** (proofs) **for the people who use their understanding.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

لم يكن لبشرٍ عصر الرسالة المحمدية أن يدرك فصول قصة الخلق على النحو الذي انتهى إليه اليوم علم الكون Cosmology، فقد توصل بعد جهود مضنية إلى أن الكون الفيزيائي الممكن الإدراك حولنا ليس أزليًّا وعمره يقدر وسطيا بحوالي: ١٢,٥ (١٠ – ١٥) بليون سنة، فلا بد إذن من مُبدع مُقتدر أوجده؛ وإلا فكيف!، ولم تكن الأرض في البدء كيانًا مستقلا؛ وإنما نشأت لبنات الكون في طبقات وبزغ فيها ضوء الشمس والنجوم ثم تميزت الأرض، وقبل الشمس والنجوم لم يكن سوى ظلام حالك كظلام الليل بعدما تضاءل تركيز طاقة مادة البناء مع التوسع، وليس الجو سوى انبعاث دخاني من الأرض الأولية الملتهبة تميز مع الوقت إلى طبقات بين الفضاء والأرض ولكل منها وظيفة محددة، سماوات إذن تسبق الأرض وأخرى تليها في النشأة كما في النظم؛ فهو إذن تطابق تام بين المآثر العلمية وأنباء الوحي!.

يقول المُبدع القدير العليم وحده بكل شيء: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣، والتعبير (رفع سمكها) يوافق ما تأكد اليوم من توسع الكون في البدء، والفعل (بناها) بصيغة الماضي تعبير تصويري بالمثل يعلن اكتمال خلق الكون ويقصر التوسع على فترة البناء تمثيلا ببناء بيت في أيام متتابعة ذات مراحل متوالية مُقدرة منذ البدء، والضمير في (ليلها) عائد على السماء يكشف العلم بظلمتها الحالكة فوق جو الأرض تشبيها بالليل، والفعل (أغطش) تأكيد لجعله حالكا مع التوسع واضمحلال تركيز طاقة مادة البناء، والتعبير (أخرج ضحاها) تمثيل بالسطوع التدريجي للشمس فترة الضحى تعبيرًا عن تميز الأجرام مع الانبعاث التدريجي ذاتيًّا لطاقات عناقيد النجوم في الكون، و(الدحو) تصوير لتشكيل كتلة الأرض لتصبح كروية الشكل كالبيضة بعد أن كانت سديمية متجانسة بلا طبقات ولا شكل؛ بقرينة خروج المواد الخفيفة نحو السطح والتي كانت أساس نشأة الحياة من بعد، وفي المقابل يكون نزول الحديد نحو اللب في التعبير: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ ٥٧الحديد:٢٥؛ باعتباره أحد مكونات الأرض، أما قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٦؛ فالقرينة هي أن الأرض كاملة التكوين وقدمت في النظم وتبعها الطحو؛ وهو أقرب للطحن، ويوافق إذن عمليات التعرية ونحت الصخور التي هيأت التربة للزراعة من بعد.

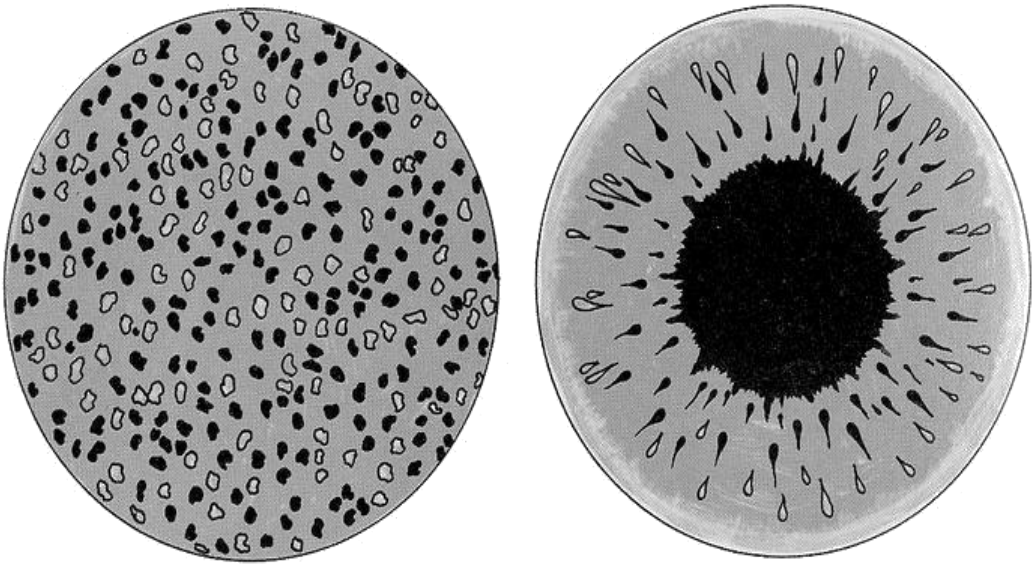

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٢؛ التعبير (بعد ذلك) قرينة تعلق المقام بترتيب أحداث نشأة الكون؛ والتي توافق اليوم أوثق معطيات العلم، فالتصور الحالي أن الأرض كانت كتلة متجانسة بلا شكل ومع الحرارة نزل الحديد إلى اللب وخرجت المواد الأخف لتكون السطح، وكانت القشرة الصلبة قطع تميد حتى أرستها الجبال تحت حجب الدخان وأبخرة الماء تمهيدا لنشأة الإنسان وحيوانات الرعي، أليس هذا الوصف هو نفس مضمون قوله تعالى: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ)!، وفي مقام الخلق تسبق السماوات الأرض؛ وكذلك أيضا ما لم يكن نصًّا في الخلق لكنه تضمن معنى التتابع كقوله تعالى: ﴿إِنّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢، كانت معرفة الله إذن وعبادته وحده هي القصد على طول فصول قصة الخلق؛ بإيجاد الإنسان المؤهل بملكات الفكر والعقل والعلم.

وما هو في مقام ترتيب أحداث الخلق غير ما هو في مقام الاعتبار: "كيف بدأ الخلق!"؛ استدلالا على قدرة الخالق وبديع صنعه وعلمه، دعنا إذن نتأمل مشهدًا معهودًا زمن تدوين القرآن الكريم؛ ونطالع بعيون راكب استراح في ظل إحدى إبله وأخذ يتأملها وكل ما حوله ويَتَفَكَّر: كيف خلق؟؛ عنقها ساميًا ودونه السماء المتسعة الأرجاء؛ والتي تعلو الجبال الشوامخ ودونهما سطح الأرض، أليس هذا هو نفس الترتيب في قول المُبدع المُقتدر: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠!.

فلا يدع النظم الفريد مظهرًا من الخلق حجبه الإلف عن التأمل إلا ويكشف فصولا من قصة الخلق ويستثير الفكر داعيًا للتأمل: كيف بدأ كل هذا بغير المُبدع القدير!؛ في البدء لم تكن إبل فكيف وُجِدَت وتكيفت بقدرات مُقَدَّرَة قبل مولدها لم تكتسبها بالمعيشة في الصحراء وبدونها لا تُلقَّب بسفينة الصحراء!، وهذه السماء التي تبدو مرفوعة فوقنا لم يكن لها وجود كيف امتدت وتوسعت وتميزت ورُفِعَت!، وهذه الجبال لم تكن من قبل فكيف ارتفعت ونُصِبَت!، وهذه الأرض لم تكن ذات سطح فكيف سُطِحَت!، أليست تلك الدلالات الباهرة هي نفسها مآثر عصر الكشوف العلمية اليوم!.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوَاْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمَا﴾ الطلاق:١٢؛ بيان في مقام الخلق للكون كله بالنسبة لمن علي البسيطة، قال الطاهر بن عاشور: "قد عدَّ الله تعالى السماوات سبعًا وهو أعلم بها وبالمراد منها إلا أن الظاهر الذي دلت عليه القواعد العلمية أن المراد من السماوات (آفاق) الأجرام العلوية العظيمة.. ويدل على ذلك أمور: أحدها أن السماوات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض.. فدل على أنها عوالم كالعالم الأرضي.. ثانيها أنها ذكرت مع الأرض من حيث أنها أدلة على بديع صنع الله تعالى فناسب أن يكون تفسيرها (آفاق) تلك الأجرام المشاهدة"[٣]، وبالفعل تنتظم حشود النجوم في آفاق دون أقصى ما يمكن أن يبلغه نظر باستخدام أقوى المراصد الراديوية والمسمى أشباه النجوم Quasars، فتنتمي مجموعتنا الشمسية إلى مجموعة نجومية محلية تتبع حشدًا نجوميًّا أكبر Super-Cluster يتبع مجرتنا التي تتبع بدورها مجموعة مجرية محلية تتكون مما يربو على ٣٠ مجرة تتبع حشدًا مجريًّا أكبر، وبخلاف ورود لفظ السماء في الكتاب العزيز بالجمع والإفراد؛ لا يَرِد لفظ (الأرض) دالا على الكوكب إلا بالإفراد، لأنه منسوب للمخاطبين على سطحها.

وقوله تعالى: (خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)؛ أي خلق من الأرض سبع سماوات (مِثْلَهُنَّ) تليها في النشأة كما تتبعها في النظم في مقام الخلق، ولا تأبى الأداة (من) في مقام يفيد التتابع والترتيب حملها على الابتداء فتعني تميز سماوات عُليا قبل تميز كوكب الأرض، ثم تكوين سماء دنيا نشأت من الأرض تُحيط بها تميزت بالمثل إلى آفاق، فلا يستقيم عود ضمير (مِثْلَهُنَّ) إلا على (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)؛ لأنه لا يستقيم عوده إلا على جمع مؤنث، والعدد (سبع) وحده بغير ما يُميزه مُذَكَّر؛ ولم يُذكر جمع مؤنث إلا السبع سماوات، ولا يفوتك أن اللفظ (بَيْنَهُنَّ) عائد كذلك على نفس الموصوف؛ وهو بالمثل جمع مؤنث لا يستقيم عوده إلا على سماوات الكون تلك، وبذلك تكون السماوات التي تتبع الأرض كالسماوات التي تسبقها في طبقية التكوين والعلو بالنسبة لمن هو على سطح الأرض، قال الطاهر بن عاشور: "والسماء إن أريد بها (آفاق) الجو المحيط بالكرة الأرضية فهو تابع لها متأخر عن خلقها وإن أريد بها (أفاق) الكواكب العلوية.. فالكواكب أعظم من الأرض فتكون أسبق خلقا"[٤]، ولا تجد نصًّا في مقام الخلق يشذ عن الترتيب المطابق للواقع؛ لا فارق بين نبأ يتعلق بنشأة الكون وآخر اكتفى بتفصيل أحداث نشأة الأرض وما يتبعها ويلازمها من آفاق الجو، ولك أن تعجب: كيف مَيَّز الكتاب العزيز الجو عن آفاق الأجرام وكشف تكوينه الطبقي!، وكيف كشف أصله الأرضي!.

[٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٣٨٥).

[٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١١ ٢٢٣).

وفي قوله تعالى: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٤-٦؛ لفظ (الْعُلَى) جمع العليا تأنيث (الأعلى)، فأفاد بتركيبه وجود سموات دنيا غيرها تماثلها في طبقية التكوين والعلو بالنسبة للمخاطبين، وهو ما يتفق مع تشكل الفضاء إلى طبقات تُميزها بروج الأجرام وتشكل الجو بالمثل من طبقات، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦؛ لفظ (الدنيا) تأنيث (الأدنى) وهو من (الدنو) بمعنى القرب أو من الدناءة والسفلية فتعني أنها الأسفل بالنسبة لسواها، ولذا يدل تعبير (السماء الدنيا) هنا على الطبقة الأسفل من آفاق الأجرام، وفي أفاق الجو تتوهَّج الشهب مثل المصابيح كما في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ ٤١فصلت:١٢، وهي تمثل خطراً على كل عابر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾ ٦٧الملك:٥، فيُمكن حمل (السماء الدنيا) على الجو عند الإطلاق وعلى أدنى آفاق الأجرام عند التخصيص بالكواكب، قال الألوسي: "وإطلاق النجوم على الرجوم.. يُحتمل أن يكون مبنيًّا على الظاهر للرائي كما في قوله تعالى في الشمس: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ١٨الكهف:٨٦، وهذه الشهب ليست هي الثوابت وإلا لظهر نقصان كثير في أعدادها بل هي جنس آخر..، ولا يأباه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ﴾٦٧الملك:٥؛ حيث أفاد أن تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها.. (و) كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض..، والشهب من هذا القسم؛ وحينئذ يزول الإشكال"[٥].

والأصل حمل العدد في القرآن الكريم على ظاهره خاصة في مقام يقتضي التحديد كالأحكام، لكن العدد سبع ومضاعفاته يختص في العربية بإمكان الدلالة تمثيلا على التعدد والتكثير نحو قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ ٩التوبة:٨٠، قال الشوكاني: "ليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول؛ فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير"[٦]، ورغم هذا يتفق تسبيع الكون مع لبنات التكوين أو بروج الأجرام السماوية، ويمكن أيضا تقسيم طبقات الجو لأربع طبقات رئيسة بينهن طبقتين بالإضافة إلى الغلاف المغناطيسي.

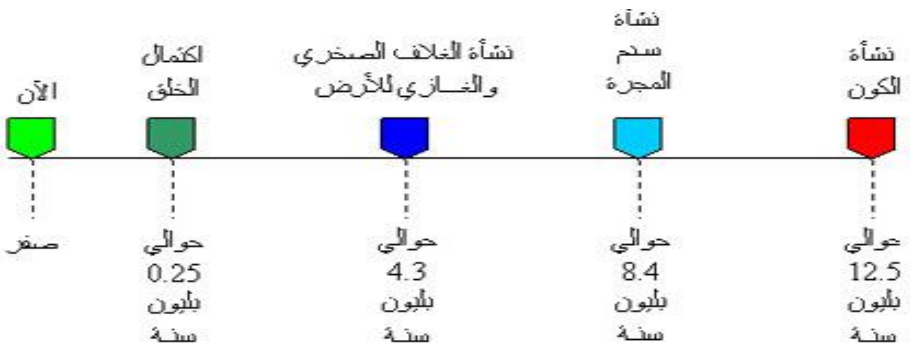

ويقرر القرآن الكريم أن خلق العالم قد تم فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ؛ أي في عملية واحدة متصلة ذات مراحل كما لو كان بناءً واحداً تتابع تنفيذ خطة تصميمه المقدرة منذ بدء الخلق (الأعراف٥٤، يونس٣، هود٧، الفرقان٥٩، السجدة٤، ق٣٨، الحديد٤)، وإذا اعتمدنا نفس التمثيل واعتبرنا عمر الكون حتى الاكتمال ستة أيام يكون نصيب الأرض وحدها منذ تشكلها مع السديم الشمسي من المجرة إلى الاكتمال أربعة أيام، وإذا تميزت الأرض كجرم مستقل في يومين لا يبقى للجو إلا يومين مع تشكل السطح الصخري ونشأة الحياة، وهو نفس التمثيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ٤١فصلت:٩و١٠، وإذا كانت النشأة الحقيقية للأرض كنظام حركي ترجع إلى حوالي ٨,٤ بليون سنة، وعلامة التكامل هي اكتمال تكون القارة الأم الأولية Pangaea وبدء انقسامها إلي القارات الحالية ووقوع أكبر كارثة في تاريخ الأحياء Permian–Triassic extinction event منذ حوالي ٠,٢٥ بليون سنة؛ يكون عمر الكون الفعلي في التمثيل بنفس القيمة المعروفة الآن، وهي على الأقل: ١٢,٥ (١٠- ١٥) بليون سنة[٧].

---

[٥] شهاب الدين محمود الألوسي؛ روح المعاني، المحقق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٥هـ (١٩ ٤٦٦).

[٦] محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى؛ ١٤١٤هـ (١٢ ٥٦٢).

[٧] الكون لستيفن هاوكنج ص٥٥، والانفجار الكبير لسيلك ص٧٥.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦؛ يستقيم حمل التعبير (يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَات وَالأَرْضَ) على تكامل الخلق، أي منذ حوالي ٠,٢٥ بليون سنة حيث كانت السنة تساوي (اثْنَا عَشَرَ شَهْراً)، ونظير الستة أيام تمثيلا يتأكد أن عمر الكون بنفس القيمة المعروفة الآن!.

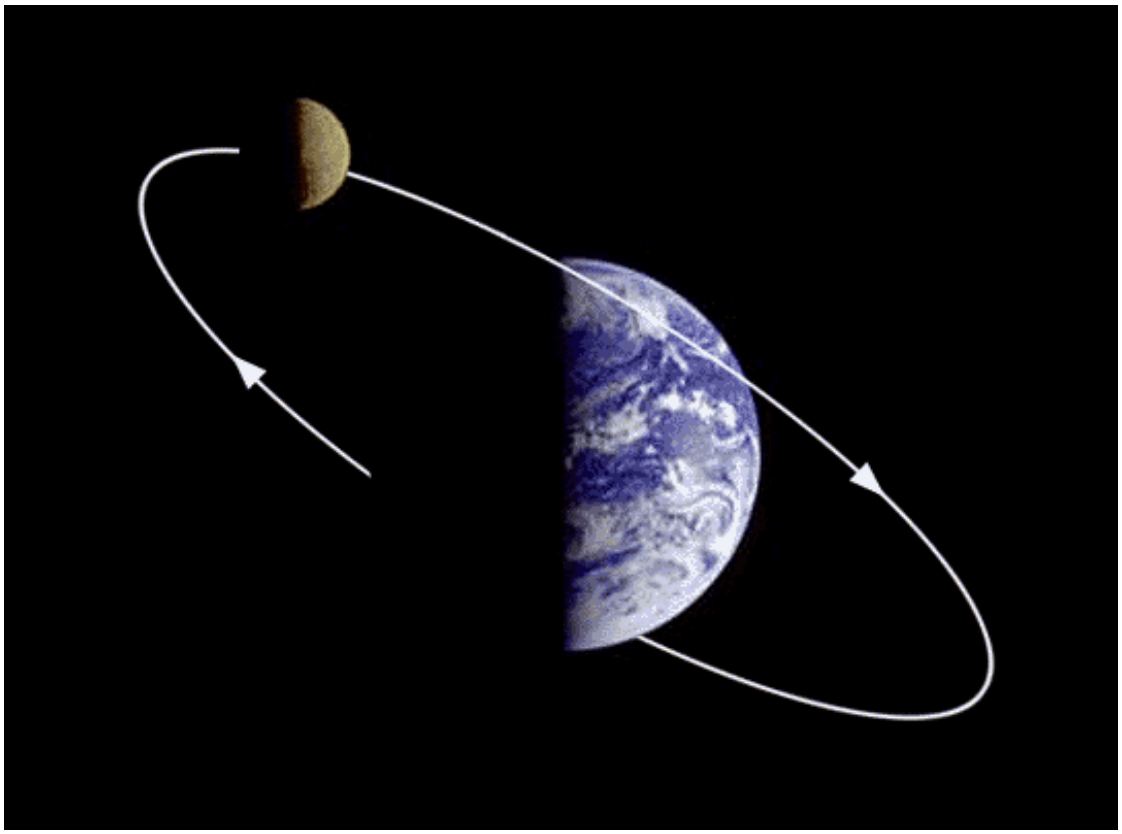

وفي العلاقة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧؛ العندية في حق الذات العلية تعني التقدير لا النِّدِّيَة، واليوم والسنة من مصطلحات المخاطبين، والمساواة بين زمن يوم وزمن ألف سنة تستقيم إذا كانت المسافة التي تُقطع في ألف سنة بسير ما تقوم عليه السنة في عرف المخاطبين؛ تُقطع في يوم بأبلغ سرعة مُقَدَّرَة، والسنة في عرف العرب ١٢ شهرًا بسير القمر، وإذن ما يقطعه القمر في ألف سنة يُقطع في يوم بسرعة الضوء؛ وقيمتها ثابتة، بينما حركة القمر نسبية والقيد (مما تعدون) يجعلها باعتبار سكون الأرض كما يعدونها لتتحقق المساواة، فإذن قيمة سرعة الضوء في الفراغ = مسافة ألف سنة قمرية\ يوم؛ باعتبار سكون الأرض، والنتيجة حوالي: ٣٠٠ ألف كم\ ثانية؛ وهي نفس قيمة القياسات العملية، ولكن علاقة اليوم بألف سنة متضمنة في قياس أكبر مسافة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٧٠المعارج:٤، وإذا استثنينا الألف سنة واليوم تتبقى القيمة (خمسين) في موضع أكبر وحدة زمن وهي سنة الشمس؛ وقيمتها حوالي: ٢٥٠ مليون سنة، فتكون أبعد مسافة على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية؛ يعني يقطعها الضوء في عمر الكون، فتكون قيمته كذلك على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة!.

وعلاقة اليوم بألف سنة إذن مقتضاها قطع نفس المسافة في زمن أقل لسرعة أمر يسري في الكون، قال قتاده: "يقول مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة"، وقال القرطبي: "في يوم كان مقداره في المسافة ألف سنة"، وقال الطبري: "لأن المسافة مسيرة ألف سنة"، وقال الرازي: "واليوم هنا زمان"، وقال الزمخشري: "(وهو) يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد"، والقياس عند ابن عباس: "(هو) مقدار سير الأمر"، وقد أصابت ضربة معوله عين النبع بقوله: "لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة في يوم"، وكشف الألوسي عن طبيعة هذا الأمر قبل أن يتفجر النبع؛ فقال: "لم تبعد هذه السرعة.. (عن) سرعة حركة الأضواء"، واستخدم حفيده عبارة: "شدة سرعة الضوء"، والدليل على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية لم يُقدَّم إلا عام ١٦٧٦ عندما تمكن أولاس رومر من قياسها للمرة الأولى في التاريخ؛ فكيف إذن!.

وأما أكبر مسافة كونية (تمثل حافة الكون)؛ كما تبدو للناظر أقصى مادة ممكنة الرصد، فلا تبعد عن مضمون قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧، ووفق الفيزياء كل المسارات في الكون منحنية ولا تعرف الخط المستقيم، فوافقت وصف آفاق الكون وطرائق الأجرام السماوية بلفظ (الْمَعَارِجِ)، وهو جمع لاسم المكان (مَعْرَج)، ويتضمن معنى الانحناء، وفي اللغة: عرج إليه مال إليه وتعاريج النهر منحنياته وثوب معرج خطوطه ملتوية والعرجون العود المنحني الذي يحمل التمر، قال الألوسي: "العروج في الدنيا.. رُوِيَ (هذا) عن ابن إسحاق ومنذر بن سعيد ومجاهد وجماعة، وهو رواية عن ابن عباس أيضا".

وأبعد مسافة كونية لا يقطعها جسم مادي محدود السرعة إلا الملائكة والأرواح؛ رسل الهداية مما يعني أن الكون عامر بالساجدين، قال جوهري: "قدم الملائكة لأنهم في عالم الأرواح.. العالم المبرأ عن المادة (لأنه).. لا يُرتقى إلى تلك المعارج إلا بالكشف العلمي أو الخروج عن عالم المادة"، و"ليس المراد المدة بل بعد المدى"، وقال البيضاوي: "استئناف لبيان ارتفاع تلك (المعارج) وبعد مداها"، وقال البغوي: "المسافة من الأرض إلى (مُنتهى) السماء"، وقال الألوسي: "الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك (المعارج) وبعد مداها..، والمراد أنها في غاية البعد والارتفاع"!.

والمشاهد الضاربة في أعماق الكون قد تكون خادعة؛ حيث تبدو وكأنها آنية، ولكنك لا تطالع بالكون إلا الماضي والحدث الذي وقع منذ زمن بعيد، وإذا امتد نظرك لأقصى بعد فأنت تطالع ما حدث عند بداية الزمن حيث يتوقف الابتعاد، وفي عام ١٩٢٩ أعلن إدوين هابل أن المجرات البعيدة تبدو في ابتعاد بمعدل يبدو ثابتًا؛ متوسط قيمته حاليا: ٢٤ (٣٠-٢٠) كم/ ثانية كل مليون سنة ضوئية، فيمكن إذن وفق قانون هابل؛ تقدير عمر الكون = (سرعة الضوء x مليون)\ معدل الابتعاد = ١٢,٥ (١٠-١٥) بليون سنة على الأقل، وأقصى مسافة كونية: ١٢,٥ بليون سنة ضوئية، وإذا كانت مادة الكون في الماضي مُكَدَّسَة في حيز ضئيل؛ فلا بد فيزيائيا أن تصدر إشعاعًا يعكس حرارة هائلة، واكتشف بنزياس وولسن هذا الإشعاع عام ١٩٧٣ وسمي بالخلفية الإشعاعية وتأيد أن للكون ابتداء، وفي عام ٢٠٠١ درس كارليس بينيت Charles Bennett فروقًا ضئيلة بالخلفية الإشعاعية؛ فقدر أن عمر الكون: ١٣,٧٥ بليون سنة، وأتاحت المواد المشعة المعروف معدل تحللها وسائل قياس بديلة، فلم يمض عام ٢٠٠١ إلا وقد فاجأ روجر كيريل Roger Cayrel وفريقه من عدة دول بعد دراسة عنصر مشع بنجم قديم أن عمر الكون على الأقل: ١٢,٥ بليون سنة.

ومع تلاشي وهم أزلية المادة؛ رغم ميله للإلحاد اضطر الفيزيائي ستيفن هاوكنج Stephen Hawking إلى الاعتراف: "طالما أن للكون بداية فحتما لا بد من خالق"[٨]، وأضاف: "ليس تاريخ العلم إلا التحقق التدريجي من أن الأحداث لم تقع بطريقة اعتباطية؛ بل تعكس ترتيب ضمني أكيد"[٩]، وفي الكون بالفعل توجيه رشيد منذ البدء يستحيل أن تُنجزه صدفة؛ وإبداع في التصميم Design على كل المستويات، وكل مجالات العلوم تقول: لا فوضى No Chaos!، ورغم مشاركته في نظرية الكون السرمدي؛ قال ألفريد هويل Fred Hoyle: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون قد نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة بقدرة فريدة وتصميم رشيد لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"!.

---

[٨] تاريخ موجز للزمن، ستيفن هوكنج (ص١٢٢).

[٩] تاريخ موجز للزمن، ستيفن هوكنج (ص١٤٠).

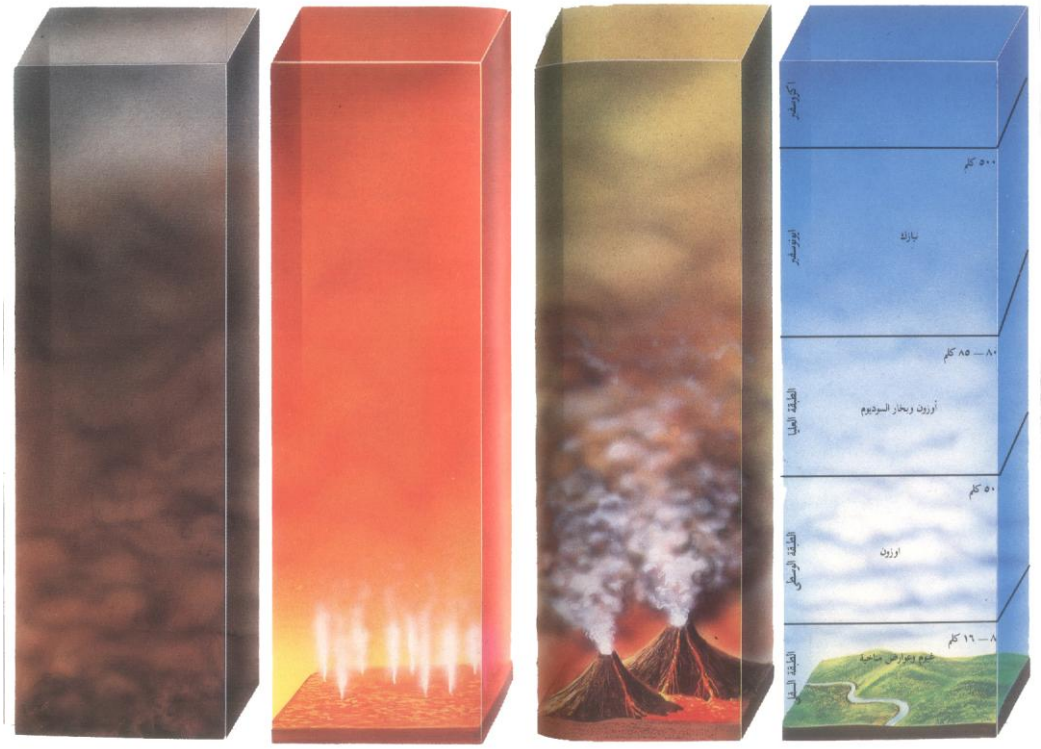

تكون الجو من غازات الأرض الأولية الملتهبة مع سطحها، وكان يتبدد حتى استقر منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة مع نشأة الغابات وإطلاقها للأكسجين والتميز إلى طبقات (الموسوعة العالمية العربية المصورة؛ ١٨: ٣٢٧٥).

ويَمْضِي بك التمثيل في الكتاب العزيز كاشفًا بالتصوير كأبلغ وسيلة للإيضاح خفايا التكوين التي لم يُدركها بشر إلا بعد توفر الوسائل والتقنيات في رائعة تهز الوجدان وتأخذ بالألباب: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ سَوَآءً لّلسّآئِلِينَ. ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ. فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىَ فِي كُلّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢، قال السمعاني: "قوله: (فِيَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ) أي في تمام أربعة أيام.. وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وذهبت من بغداد إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تمام خمسة عشر يومًا.. هذا كلام العرب، ومن طعن فيه لم يعرف كلام العرب"[١٠]، وقد أورد الأعلام أن السماء التي تشكلت إلى طبقات بعد تشكيل الأرض هي دخان خرج منها عند تكونها فشكل الجو؛ يعني في آخر يومين من الأربعة وهو ما يوافق المعرفة أنها كانت ملتهبة؛ قال الماوردي أنه: "الدخان الذي جعله الله للأرض سماء"[١١]، فكأن قوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ قد فسره قوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وكليهما في النظم وارد بعد تشكل الأرض بغير سطح ولا جو، وقوله تعالى: ﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ معناه يماثل معنى قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وملازمة السماء المحلية أو الجو للأرض تعني سبق التبدد في التمثيل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، وهي نفس الملازمة: ﴿وَجَعَلْنَا السّمَآءَ سَقْفاً مّحْفُوظاً﴾ ٢١الأنبياء:٣٢، والإتيان قرين الحركة، ولك أن تتساءل مُتَعَجِّبًا: من أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن السقف المحفوظ المصاحب للأرض في سيرها مكون من طبقات مُمَيَّزَة بخلاف التبدد عند التكوين!، ومن أعلمه غير المُبدع القدير وحده؛ بتكونه من دخان الأرض الملتهبة المتصاعد عند التكوين!.

---

[١٠] أبو المظفر منصور المروزى السمعاني؛ تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م (٥ ٤٢).

[١١] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١ ٩٢).

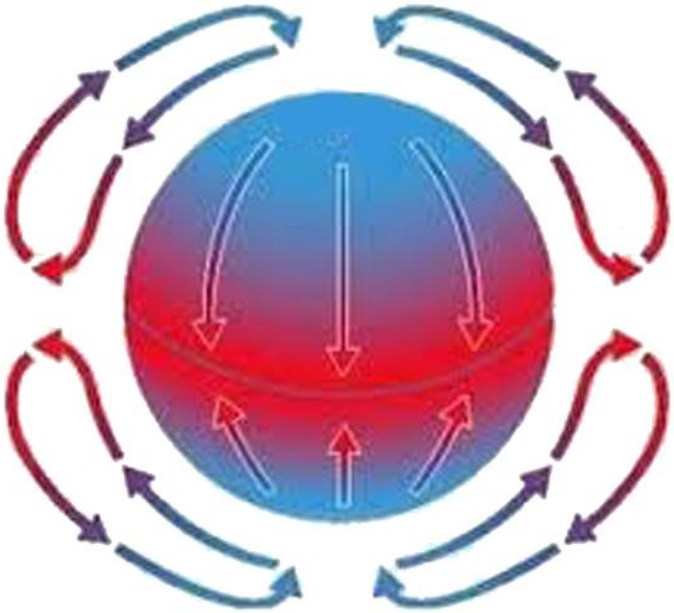

تصريف الرياح حول الأرض يشمل الدورة العامة للرياح؛
وكأنه نظام تكييف عالمى للحد من فرط الحرارة والبرودة.

فالكون إذن بالنسبة للمخاطب في القرآن الكريم هو (السماء والأرض) و(ما بينهما) أي الجو المُمَيَّز بتصريف الرياح والسحاب المسخر بينهما؛ وفق نظام يشمل الكوكب كله يشهد بتدبير لا تصنعه مصادفة يُعلنه قول المبدع القدير: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤، وفي مقام وصف الكون المنظور بالنسبة للمخاطب ورد تعبير (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا): ١٨ مرة، و(السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا): مرتين، و(الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا): مرة، فيكون مجموع ورود (وما بينهما): ٢١ مرة، وكلها مرتبة بتقديم السماء في الخلق على الأرض ويتبعها بالإبهام (ما بينهما)؛ إشارة إلى الجو الذي لا تميز العين طبقاته.

والاكتفاء بالتعبير عن الكون المنظور بلفظ (السماء) جمعًا وإفرادًا مع (الأرض) وبغير التعبير (ما بينهما)؛ يلحق الجو بالأرض في الخلق، ويؤيده أن الإنسان وإن كان على سطحها فهو ﴿فِي الأَرْضِ﴾ باعتبار أن الجو فوقه تابع لها ولاحق بها؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥، وآفاق الجو لا تُمَيِّزها العين فساغ عودة ضمير الجمع المؤنث (فَقَضَاهُنّ) على غير مذكور سابق في قوله تعالى: (فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)، ومثله ضمير (فَسَوّاهُنّ) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ ٢البقرة:٢٩، وهكذا لو تأملت النصوص المتعلقة بخلق العالم؛ فستجد كل الأحداث مُرتبة بنفس الترتيب الذي كشفه العلم بعد عصر الوحي بأكثر من عشرة قرون، وما أجمله موضع فَصَّلَهُ آخر مما يدفع أي احتمال أن يكون القرآن صنعةً بشريةً، يقول العلي القدير: ﴿بَلْ كَذّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "دل على ما ذكرهم من وحدانيته وقدرته بقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ}؛ الفلك: السفن..، ثم قال تعالى: {وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ} يعني به المطر..، ثم قال تعالى: {فَأَحْيَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}؛ وإحياؤها.. ما تجري به أنهارها وعيونها.. (و) ما ينبت به من أشجارها وزروعها؛ وكلا هذين سبب لحياة الخلق من ناطق وبُهْم، ثم قال تعالى: {وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ}: يعني جميع الحيوان.. سماه (دابة) لدبيبه عليها..، ثم قال تعالى: {وَتَصْرِيفَ الرِّيَاحِ}..، ثم قال تعالى: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}؛ المسخر: المذلل..، وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشداً وإلى الحق قائداً؛ فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار"[١٢].

وقال ابن عاشور: "مَوْقِعُ هَاتِهِ الْآيَةِ عَقِبَ سَابِقَتِهَا مَوْقِعُ الْحُجَّةِ مِنَ الدَّعْوَى؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَنَ أَنَّ الْإِلَهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَهِيَ قَضِيَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِالْإِنْكَارِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَنَاسَبَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ لِمَنْ لَا يَقْتَنِعُ؛ فَجَاءَ بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي لَا يَسَعُ النَّاظِرَ إِلَّا التَّسْلِيمُ إِلَيْهَا.. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَاتِهِ الْآيَةِ إِثْبَاتُ دَلَائِلِ وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ إِثْرَ ذِكْرِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّهَا إِذَا أُثْبِتَتْ بِهَا الْوَحْدَانِيَّةُ ثَبَتَ الْوُجُودُ بِالضَّرُورَةِ، فَالْآيَةُ صَالِحَةٌ لِلرَّدِّ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ دَهْرِيِّهِمْ وَمُشْرِكِيهِمْ، وَالْمُشْرِكُونَ هُمُ الْمَقْصُودُ ابْتِدَاءً، وَقَدْ قَرَّرَ اللَّهُ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ دَلَائِلَ كُلُّهَا وَاضِحَةٌ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَهِيَ مَعَ وُضُوحِهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَسْرَارٍ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي دَرْكِهَا حَتَّى يَتَنَاوَلَ كُلُّ صِنْفٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ مِقْدَارَ الْأَدِلَّةِ مِنْهَا عَلَى قَدْرِ قَرَائِحِهِمْ وَعُلُومِهِمْ، وَالْخَلْقُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ وَاخْتِيرَ هُنَا لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلِلْعِبْرَةِ أَيْضًا.. تَكْوِينِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنِّظَامِ الْجَامِعِ بَيْنَهَا؛ فَكَمَا كُلُّ مَخْلُوقٍ مِنْهَا أَوْ فِيهَا هُوَ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ فَكَذَلِكَ مَجْمُوعُ خَلْقِهَا، وَلَعَلَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ بِالنِّظَامِ الشَّمْسِيِّ وَهُوَ النِّظَامُ الْمُنْضَبِطُ فِي أَحْوَالِ الْأَرْضِ مَعَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالسَّمَاوَاتِ (في مواضع طبقًا للسياق)، والسَّماواتِ جَمْعُ سَمَاءٍ وَالسَّمَاءُ إِذَا أُطْلِقَتْ مُفْرَدَةً فَالْمُرَادُ بِهَا (في مواضع) الْجَوُّ الْمُرْتَفِعُ فَوْقَنَا الَّذِي يَبْدُو كَأَنَّهُ قُبَّةٌ زَرْقَاءُ.. وَذَلِكَ الْمُرَادُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ) الْملك:٥..، (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً) الْبَقَرَة:٢٢، وَإِذَا جُمِعَتْ فَالْمُرَادُ (في مواضع) بِهَا (آفاق) أَجْرَامٌ عَظِيمَةٌ..، ولعلها هِيَ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ الْعَظِيمُ، وَهَذَا السِّرُّ فِي جمع (السَّمَوَات) هُنَا وَإِفْرَادِ (الْأَرْضِ) لِأَنَّ الْأَرْضَ عَالَمٌ وَاحِدٌ..، وَالْمَعْنَى أَنَّ فِي خلق مَجْمُوعِ السَّمَوَاتِ مَعَ الْأَرْضِ آيَاتٍ..، وَالْآيَةُ فِي هَذَا الْخَلْقِ (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) آيَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ هَذَا النِّظَامِ وَقَوَاعِدَ الْجَاذِبِيَّةِ.. عَلَى وَجْهٍ لَا يَعْتَرِيهِ خَلَلٌ وَلَا خَرْقٌ..، قَالَ الْفَخْرُ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْحُسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمِجَسْطِيِّ عَلَى عُمَرَ الْأَبْهَرِيِّ؛ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَءُونَهُ، فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها) ق:٦، فَأَنَا أُفَسِّرُ كَيْفِيَّةَ بِنَائِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوَغُّلًا فِي بِحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ)..، وَقَوْلُهُ: (وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) تَذْكِيرٌ بِآيَةٍ أُخْرَى عَظِيمَةٍ لَا تَخْفَى على أحد من الْعُقَلَاءِ وَهِيَ.. اخْتِلَافُ حَالَتَيِ الْأَرْضِ فِي ضِيَاءٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا فِي الضِّيَاءِ مِنَ الْفَوَائِدِ لِلنَّاسِ وَمَا فِي الظُّلْمَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ لَهُمْ لِحُصُولِ سُكُونِهِمْ وَاسْتِرْجَاعِ قُوَاهُمُ الْمَنْهُوكَةِ بِالْعَمَلِ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ لِخَاصَّةِ الْعُقَلَاءِ إِذْ يَعْلَمُونَ.. أَنَّهُ مِنْ آثَارِ دَوَرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ..، وَالِاخْتِلَافُ افْتِعَالٌ مِنَ الْخَلْفِ؛ وَهُوَ أَن يجيء شَيْءٌ عِوَضًا عَنْ شَيْءٍ آخَرَ يَخْلُفُهُ فِي مَكَانِهِ..، وَقَدْ أُضِيفَ الِاخْتِلَافُ لِكُلٍّ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الْآخَرَ (فِي مَكَانِهِ)..، وَلِلِاخْتِلَافِ مَعْنًى آخَرُ هُوَ مُرَادٌ أَيْضًا؛ وَهُوَ تَفَاوُتُهُمَا فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، فَمَرَّةً يَعْتَدِلَانِ وَمَرَّةً يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ؛ وَذَلِكَ بِحَسَبِ أَزْمِنَةِ الْفُصُولِ وَبِحَسَبِ أَمْكِنَةِ الْأَرْضِ..، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ مَوَاضِعِ الْعِبْرَةِ لِأَنَّهُ آثَارُ الصُّنْعِ الْبَدِيعِ..، فَفِي اخْتِيَارِ التَّعْبِيرِ بِالِاخْتِلَافِ هُنَا سِرٌّ بَدِيعٌ لِتَكُونَ الْعِبَارَةُ صَالِحَةً لِلْعِبْرَتَيْنِ، وَاللَّيْلُ اسْمٌ لِعَرَضِ الظُّلْمَةِ وَالسَّوَادِ الَّذِي يَعُمُّ مِقْدَارَ نِصْفٍ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ الَّذِي يَكُونُ غَيْرَ مُقَابِلٍ لِلشَّمْسِ؛ فَإِذَا حُجِبَ قُرْصُ الشَّمْسِ عَنْ مِقْدَارِ نِصْفِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ بِسَبَبِ التَّقَابُلِ الْكُرَوِيِّ؛ تَقَلَّصَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَنْ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ فَأَخَذَ النُّورُ فِي الضَّعْفِ وَعَادَتْ إِلَيْهِ الظُّلْمَةُ الْأَصْلِيَّةُ الَّتِي مَا أَزَالَهَا إِلَّا شُعَاعُ الشَّمْسِ..، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيْ تَعَاقُبِهِمَا وَخَلْفِ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَمِنْ بَلَاغَةِ عِلْمِ الْقُرْآنِ أَنْ سَمَّى ذَلِكَ اخْتِلَافًا تَسْمِيَةً مُنَاسِبَةً لِتَعَاقُبِ الْأَعْرَاضِ عَلَى الْجَوْهَرِ..، فَأَوْمَأَ إِلَى أَنَّ اللَّيْلَ

---

[١٢] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١٦ ٢١).

وَالنَّهَارَ.. عَرَضَانِ..، وَقَوْلُهُ: (وَالْفُلْكِ).. كَوْنِهَا آيَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ؛ وَفِي كَوْنِهَا نِعْمَةً مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَجْرِي بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ..، فَجَرْيُ السُّفُنِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ إِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْإِنْسَانَ لِلتَّفَطُّنِ لِهَذَا التَّسْخِيرِ الْعَجِيبِ الَّذِي اسْتَطَاعَ بِهِ أَنْ يَسْلُكَ الْبَحْرَ كَمَا يَمْشِي فِي الْأَرْضِ..، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَ لِلْفُلْكِ الرِّيَاحَ..، وَأَمَّا كَوْنُهَا نِعْمَةً فَلِأَن فِي هَذَا التَّسْخِيرِ نَفْعًا لِلتِّجَارَةِ وَالزِّيَارَةِ.. وَلِذَلِكَ قَالَ (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ)..، وَالْفُلْكُ هُنَا جَمْعٌ لَا مَحَالَةَ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِي كَثْرَتِهَا، وَهُوَ وَمُفْرَدُهُ سَوَاءٌ فِي الْوَزْنِ..، فَاسْتَوَى فِي اللَّفْظِ الْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ..، (وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ).. وَإِسْنَادُ الْإِنْزَالِ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ الَّذِي أَوْجَدَ أَسْبَابَ نُزُولِ الْمَاءِ بِتَكْوِينِهِ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ عَلَى نِظَامٍ مُحْكَمٍ، وَالسَّمَاءُ الْمُفْرَدُ (هنا) هُوَ الْجَوُّ وَالْهَوَاءُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ.. وَفِي الْآيَةِ عِبْرَةٌ عِلْمِيَّةٌ لِمَنْ يَجِيءُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ جَعْلَ الْمَاءِ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ بُخَارَ الْمَاءِ يَصِيرُ مَاءً فِي الكرة الهوائية عِنْد مَا يُلَامِسُ الطَّبَقَةَ الزَّمْهَرِيرِيَّةَ..، وَقَدْ جَمَعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) أُصُولَ عِلْمِ التَّارِيخِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الْمَوَالِيدُ الثَّلَاثَةُ: الْمَعْدِنُ وَالنَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ، زِيَادَةً عَلَى مَا فِي بَقِيَّةِ الْآيَةِ سَابِقًا وَلَا حَقًا مِنَ الْإِشَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الرَّاجِعَةِ لِعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَعِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمِ الْجُغْرَافْيَا الطَّبِيعِيَّةِ وَعِلْمِ حَوَادِثِ الْجَوِّ..، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ أَيْضًا مَوْضِعُ عِبْرَةٍ أَعْجَبُ وَمَوْضِعُ نِعْمَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ أَنَّ اللَّهَ أَحَاطَ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ بِهَوَاءٍ خَلَقَهُ مَعَهَا؛ بِهِ يَتَنَفَّسُ الْحَيَوَانُ وَهُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكُرَةِ بَحْرِهَا وَبَرِّهَا مُتَّصِلٌ بِسَطْحِهَا وَيَشْغَلُ مِنْ فَوْقِ سَطْحِهَا ارْتِفَاعًا لَا يَعِيشُ الْحَيَوَانُ لَوْ صَعِدَ إِلَى أَعْلَاهُ، وَقَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَلَّفًا مِنْ غَازَيْنِ هَمَّا النِّيتْرُوجِينُ وَالْأُكْسُجِينُ..، وَلَمَّا كَانَتِ الْحَرَارَةُ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تُمَدِّدَ أَجْزَاءَ الْأَشْيَاءِ.. وَالْبُرُودَةُ بِالْعَكْسِ، كَانَ هَوَاءٌ فِي جِهَةٍ حَارَّةٍ.. وَهَوَاءٌ فِي جِهَةٍ بَارِدَةٍ.. وَقَعَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْهَوَاءَيْنِ فِي الْكَثَافَةِ، فَصَعِدَ الْخَفِيفُ وَهُوَ الْحَارُّ إِلَى الْأَعْلَى؛ وَانْحَدَرَ الْكَثِيفُ إِلَى الْأَسْفَلِ، وَبِصُعُودِ الْخَفِيفِ يَتْرُكُ فَرَاغًا يَخْلُفُهُ فِيهِ الْكَثِيفُ طَلَبًا لِلْمُوَازَنَةِ؛ فَتَحْدُثُ حَرَكَةٌ تُسَمَّى رِيحًا، فَإِذَا كَانَتِ الْحَرَكَةُ خَفِيفَةً لِقُرْبِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْهَوَاءَيْنِ سُمِّيَتِ الْحَرَكَةُ نَسِيمًا وَإِذَا اشْتَدَّتِ الْحَرَكَةُ وَأَسْرَعَتْ فَهِيَ الزَّوْبَعَةُ..، وَمِنْ فَوَائِدِ هَاتِهِ الرِّيَاحِ الْإِعَانَةُ عَلَى تَكْوِينِ السَّحَابِ وَنَقْلِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ وَتَنْقِيَةِ الْكُرَةِ الْهَوَائِيَّةِ مِمَّا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْجَرَاثِيمِ الْمُضِرَّةِ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ مَوْضِعُ عِبْرَةٍ وَنِعْمَةٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدِ اخْتِيرَ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ التَّصْرِيفِ هُنَا.. لِأَنَّ التَّصْرِيفَ تَفْعِيلٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْمُبَالَغَةِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَنْشَأَ الرِّيحِ هُوَ صَرْفُ بَعْضِ الْهَوَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَصَرْفُ غَيْرِهِ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ.. (فهذا من) الْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ..، وَجَمَعَ الرِّيَاحَ هُنَا لِأَنَّ التصريف اقْتَضى الْعدَد لِأَنَّهَا كُلَّمَا تَغَيَّرَ مَهَبُّهَا فَقَدْ صَارَتْ رِيحًا غَيْرَ الَّتِي سبقت، وقرأه الْجُمْهُورُ (الرِّيَاحِ) بِالْجَمْعِ وَقَرَأَهُ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (الرِّيحِ) بِالْإِفْرَادِ عَلَى إِرَادَةِ الْجِنْسِ؛ وَاسْتِفَادَةِ الْعُمُومِ مِنَ اسْمِ الْجِنْسِ الْمُعَرَّفِ سَوَاءٌ كَانَ مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا سَوَاءٌ..، وَقَوْلُهُ: (وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ) عَطْفٌ عَلَى (وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ) أَوْ عَلَى (الرِّياحِ)، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَتَصْرِيفِ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ؛ أَيْ نَقْلِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ..، وَفِي ذَلِكَ أَيْضًا عِبْرَةٌ وَمِنَّةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، فَتَكْوِينُهُ عِبْرَةٌ لَهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَكَوَّنُ مِنْ تَصَاعُدِ أَبْخِرَةِ الْبِحَارِ وَرُطُوبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تُبَخِّرُهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ..، إِلَّا أَنَّ بُخَارَ الْمَاءِ شَفَّافٌ غَازِيٌّ فَإِذَا جَاوَرَ سَطْحًا بَارِدًا ثَقُلَ وَتَكَاثَفَ فَصَارَ ضَبَابًا أَوْ نَدًى أَوْ سَحَابًا، وَإِنَّمَا تَكَاثَفَ لِأَنَّ أَجْزَاءَ الْبُخَارِ تَجْتَمِعُ فَتَقِلُّ قُدْرَةُ الْهَوَاءِ عَلَى حَمْلِهِ، ثُمَّ إِذَا تَكَامَلَ اجْتِمَاعُهُ نَزَلَ مَطَرًا، وَلِكَوْنِ الْبُخَارِ الصَّاعِدِ إِلَى الْجَوِّ أَكْثَرَ بُخَارِ الْبَحْرِ لِأَنَّ الْبَحْرَ أَكْثَرُ سَطْحِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ كَانَتِ السَّحْبُ أَكْثَرَ مَا تَتَكَوَّنُ مِنْ جِهَةِ الْبِحَارِ..، فَلَوْلَا الرِّيَاحُ تُسَخِّرُهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لَكَانَ الْمَطَرُ لَا يَنْزِلُ إِلَّا فِي الْبِحَارِ، وَمَوْضِعُ الْمِنَّةِ فِي هَذَا فِي تَكْوِينِهِ حَتَّى يَحْمِلَ الْمَاءَ لِيُحْيِيَ الْأَرْضَ، وَفِي تَسْخِيرِهِ لِيَنْتَقِلَ، وَفِي كَوْنِهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ مُسَخَّرٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى يَتَكَامَلَ مَا فِي الْجَوِّ مِنَ الْمَاءِ فَيَثْقُلُ السَّحَابُ فَيَنْزِلُ مَاءٌ إِذَا لَمْ تَبْقَ فِي الْهَوَاءِ مَقْدِرَةٌ عَلَى حَمْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَيُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ) الرَّعْد:١٢، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أَيْ دَلَائِلَ..، وَهَذَا الْوَجْهُ يَرْجِعُ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ بِالْعَالَمِ عَلَى الصَّانِعِ..، (و) الِاسْتِدْلَالُ بِهَاتِهِ الدَّلَائِلِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.. فَوَجْهُ دَلَالَةِ هَاتِهِ الْآيَاتِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ أَنَّ هَذَا النِّظَامَ الْبَدِيعَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ وَذَلِكَ التَّدْبِيرَ فِي تَكْوِينِهَا.. كُلُّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعًا حَكِيمًا مُتَّصِفًا بِتَمَامِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ.. فَالْمَعْنَى أَنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ سَجِيَّتُهُمُ الْعَقْلُ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِآيَاتِ ذَلِكَ؛ لَيْسَتْ عُقُولُهُمْ بِرَاسِخَةٍ وَلَا هِيَ مَلَكَاتٌ لَهُمْ"[١٣].

[١٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٧٦).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Astronomy

فلك

المَوْضُوع Subject

Creation of the universe

خلق الكون

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿أَأَنتُمْ أَشَدّ خَلْقاً أَمِ السّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعاً لّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩النازعات:٢٧-٣٣.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١الشمس:٥و٦.
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ٣٣الأحزاب:٧٢.
- ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٨٨الغاشية:١٧-٢٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٦٥الطلاق:١٢.
- ﴿تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى .الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ. لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَىَ﴾ ٢٠طه:٤-٦.
- ﴿إِنّا زَيّنّا السّمَآءَ الدّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٣٧الصافات:٦.
- ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:٩-١٢.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ٦٧الملك:٣-٥.
- ﴿إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَات وَالأَرْضَ﴾ ٩التوبة:٣٦.
- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٢٢الحج:٤٧.
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٣٢السجدة:٥.
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا. إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ٧٠المعارج:١-٧.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٠-٣٢.

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢البقرة:١٦٤.

- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤٥الجاثية:٣-٥.

- ﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ٧الأعراف:٢٤و٢٥.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٩.

- ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٤.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ١٥الحجر:٨٥.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ١٩مريم:٦٥.

- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٢٠طه:٦.

- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٢٥الفرقان:٥٩.

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ٣٠الروم:٨.

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٣٢السجدة:٤.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٣٧الصافات:٥.

- ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ٣٨ص:١٠.

- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٣٨ص:٦٦.

- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٣الزخرف:٨٥.

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٤٤الدخان:٣٨.

- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٤٤الدخان:٧.

- ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ٤٦الأحقاف:٣.

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٥٠ق:٣٨.

- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥المائدة:١٧.

- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ٥المائدة:١٨.

- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٧٨النبأ:٣٧.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٢١الأنبياء:١٦.
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٣٨ص:٢٧.
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٦الشعراء:٢٨.